

مقاومة الزعامات الدرقاوية الأمازيغية للغزو الفرنسي: سيدي علي أمهاوش نموذجاً

قاسم الحادك
كلية الآداب سايس فاس

Cet article traite de la contribution de l'un des grands chefs soufistes derkaouis amazighes dans la lutte contre l'invasion coloniale française. Il s'agit de Sidi Ali Amhaouch qui a fait face aux forces militaires françaises et a incité les tribus au jihad et à l'organisation de leur résistance. L'accent est mis sur certains aspects d'une importance considérable relatifs à l'activité politique et religieuse hostile aux forces de l'occupation et dont l'artisan était ce chef derkaoui durant plusieurs années dans les régions amazighes du Moyen-Atlas.

Sidi Ali Amhaouch a fourni beaucoup d'efforts pour sensibiliser les différentes tribus du Moyen-Atlas qui étaient la cible des opérations militaires françaises. Maintes tribus ont répondu favorablement à son appel. Il a organisé également une activité massive de sensibilisation dans les tribus d'Ait Sokhman et à l'extérieur sur les plans religieux, politique et militaire. Il a réussi ainsi à pérenniser le niveau de la mobilisation des tribus et à sauvegarder la cohésion entre elles pour pouvoir continuer la résistance contre les forces de l'occupation française et ce malgré les entraves et les obstacles qui affaiblissent son activité et l'empêchent d'élargir son mouvement.

تقديم

ووجه الغزو العسكري الفرنسي في منطقة الأطلس المتوسط بمقاومة عنيفة، تبنتها الزعامات القبلية والدينية الدرقاوية التي عملت على تأطير قبائل المنطقة ودعوته إلى التكتل والتنسيق لمواجهة الخطر الأجنبي المشترك، والاحتفاظ بمستوى من التعبئة وبعدها من الوحدة بينها بهدف إطالة أمد المواجهة ضد قوات الاحتلال، رغم العراقيل الكبيرة التي كانت تحد من نشاطها وتحركاتها. ويعد سيدي علي أمهاوش من أبرز هذه الزعامات القبلية والصوفية الدرقاوية الأمازيغية التي وقفت في وجه الغزو العسكري الفرنسي ودعت إلى الجهاد وحث القبائل على تنظيم المقاومة ممثلة تيار المقاومة والجهاد أحسن تمثيل. فما هي إسهامات سيدي علي أمهاوش في مقاومة الغزو الاستعماري؟ وما الأدوار التي قام بها هذا الزعيم الدرقاوي في مقاومته للاحتلال الفرنسي؟ وإلى أي حد نجح في تجاوز حالة الانقسام الذي كانت تعيشها المجتمعات القبلية لمناطق الأطلس المتوسط، وتوعيتها

وتأطيرها وإقناعها بضرورة تناسي خلافاتها والتصدي للمشاريع التوسعية الفرنسية؟ وما درجة التنسيق والتحالف التي كانت بينه وبين باقي زعماء حركات المقاومة في المنطقة وخصوصا موحا أوحمو زعيم المقاومة الزيانية؟

1. التعريف بسيدي علي أمهاوش

ينتسب آل أمهاوش إلى فخدة آيت ويرا من قبيلة آيت سري (أكنسوس محمد، 1994: 309) الواقعة بين أم الربيع وواد العبيد، والتي تعد القصيبة مركزها الاقتصادي. ترجع تسميتهم بالأمهاوش إلى جدهم سيدي علي احساين الذي تزوج في القرن الثامن عشر بامرأة تسمى تمهاوش (Drouin J, 1975: 5). امتد تأثير آل أمهاوش ونفوذهم لقرنين من الزمن (1730-1932)، وتميز تاريخهم بفترات من القوة والضعف. وإذا كان نفوذهم قد امتد سابقا ليشمل القسم الأكبر من آيت أومالو، إيشقرن، آيت ويرا وآيت مكيلد ملوية، فإنه تقلص وأصبح يقتصر على آيت سخمان وقسم من إيشقرن (40 : Guennoun S, 1929). وبعد وفاة مولاي العربي الدرقاوي مؤسس الطريقة الدرقاوية ارتبط آل أمهاوش بزواية كاوز في وادي زيز التي أسسها محمد العربي (15 : Drouin J, 1975)، والتي تعد إحدى فروع الزاوية الدرقاوية الأم الأكثر أهمية.

يعد سيدي علي أوسيدي المكي أمهاوش من أبرز زعماء آل أمهاوش، ازداد سنة 1844 (59 : Drouin J, 1975)، وأصبح على عهد السلطان المولى الحسن الزعيم الروحي والسياسي لآل أمهاوش ولكل القبائل التي تنتمي لحلفه. ويعتبر "أول من تقلد الدرقاوية...، حيث تتلمذ لسيدي محمد العربي وصاهره... " (بن لحسن محمد، 1997: 480). كما تتلمذ أيضا على يد الشيخ أحمد البدوي والطيب بن محمد بن عبد المالك الهواري والعربي الهواري، وهي شخصيات تنحدر من وسط ديني يتمتع بنفوذ كبير في الجنوب الشرقي المغربي. وبغية تقوية مكانته وتدعيمها عمد سيدي علي إلى عقد عدة تحالفات مع هذه الأوساط الدينية الدرقاوية في الجنوب الشرقي المغربي أساسها علاقات زواج ومصاهرة، حيث زوج إحدى بناته لمولاي التقي ابن سيدي محمد العربي والأخرى لسيدي أبا الهواري، فأصبحت وضعية سيدي علي أكثر صلابة ومثانة (151 : Drague G, 1951).

استفاد سيدي علي من الرصيد الديني والسياسي الكبير الذي راكمته الزعامات الأمهاوشية السابقة، لمواجهة الأطماع التوسعية للزعيم الزياني موحا أوحمو المدعوم من قبل المخزن (40 : Guennoun S, 1929). ورغم أن سيدي علي لم يبد في البداية أية عداوة تجاه المخزن وحافظ على علاقات متميزة مع السلطان المولى الحسن الذي استقبله في فاس، فإن مكائد ودسائس الزعيم الزياني دفعت بسيدي علي إلى المعارضة، فبعد أن حظي موحا أوحمو بدعم المخزن المركزي ومساندة طموحاته التوسعية في إطار تكتيك مخزني قديم يهدف إلى إضعاف هذه الزعامات القبلية واستنزاف قدراتها العسكرية والبشرية، كان من الطبيعي أن تواجه طموحاته التوسعية بمعارضة قوية من قبل الزعيم الدرقاوي سيدي علي

أمهاوش الذي لا يمكنه أن يستسلم أو يتراجع أمام وافد جديد بدأ يهدد سلطته ونفوذه (Drague G, 1951: 154-155).

وابتداء من سنة 1880 أصبح تأثير سيدي علي أمهاوش ونفوذه كبيرين للغاية، وامتد ليشمل قبائل بني مكيلا ملوية، وإشقرن، وآيت يحدن، وآيت سخمان، وآيت ويرا وآيت محاند، في الوقت الذي بسط فيه موحا أوحمو سلطته على الزيانيين، وآيت سكوكو وآيت اسحاق (Drague G, 1951: 155). وانطلاقاً من ذلك التاريخ "والحروب متصلة بين هاته القبائل (بزعامة سيدي علي) ومحمد أوحمو والمحلة السلطانية التي معه، إلى أن كانت آخر معركة بينهما عندما كانت الجيوش الفرنسية تطل على الجبال الأطلسية" (بن لحسن محمد، 1997: 481).

2. سيدي علي أمهاوش وحركات المقاومة في منطقة الجنوب الشرقي المغربي

انطلاقاً من موقفه المعادي للاحتلال الفرنسي لم ينتظر سيدي علي أمهاوش توغل القوات الفرنسية في تراب قبيلته واختراقها لمجالها الحيوي للقيام بتعبئة أوساطه القبلية وتنظيمها، بل نهض فوراً للتصدي لها وإيقاف زحفها خارج مناطق نفوذه (Cèlerier H, 1926: 83-84)، رغم ما تميزت به من تفوق عسكري وما خلفه ذلك من تضحيات ومعاناة.

ومباشرة بعد توصله بأبناء التوغل العسكري الفرنسي في الجنوب الشرقي المغربي، وخاصة في منطقة بونذيب (Guennoun S, 1929: 41)، ضاعف من نداءاته للجهاد في المناطق التابعة له ونجح في تعبئة حوالي 200 فارس و300 من المشاة (Lmoubariki M, 1990: 198). وفي هذا الإطار يقول المنصوري¹: "عندما تسامع حديث هذه المعارك الجهادية في بونذيب وناحيته، وتطايير الركبان بخبرها إلى الآفاق المغربية، ألهب الشعور في ذوي الغيرة الوطنية، وخاصة أعيان البرابر الأطلسية، ومن هؤلاء الشيخ البركة الوجيه سيدي علي بن المكي أمهاوش، الذي كان له صيت ذائع في قبائل إشقرن وآيت سخمان، فقام في هذه القبائل التي تصيخ له، ويعتقدون بركته، فاجتمع عليه منهم الجم الغفير" (بن لحسن محمد، 1997: 406)².

¹ - في إطار سعينا لتقديم رواية معقولة لوقائع وأحداث المقاومة المغربية، وبغية مقابلة ومقارنة المعلومات المصدرية وآراء الدارسين والمهتمين حول قضاياها بهدف الوصول إلى أحكام أقرب إلى الموضوعية وتقادي سلبيات الكتابات الفرنسية، أغنينا هذا البحث بوجهة نظر مغربية ذات قيمة مضافة كبيرة، لأن صاحبها عايش هذه المرحلة، يتعلق الأمر بمخطوط "كباء العنبر من عظمة زيان وأطلس البربر" لأحمد بن قاسم المنصوري، الذي اهتم بتاريخ المقاومة المغربية بشقيها الفكري المتمثل في نداءات ودعوات الفقهاء والعلماء في كل من الأطلس وتافيلالت إلى الجهاد، والعسكري يتناوله صفحات من الكفاح المسلح الذي خاضته قبائل الأطلس المتوسط.

² - حسب كُنون، فقد استطاع سيدي علي أمهاوش تعبئة عدة آلاف من المقاومين، غير أن هذا العدد الضخم يعد مبالغاً فيه، ويبقى الرقم الذي أورده المباركي اعتماداً على أرشيف وزارة الخارجية الفرنسية هو الأقرب إلى الواقع.

وقد شكل الانتماء الصوفي المشترك للزعامات الدينية والقبلية الأمازيغية للجنوب الشرقي وآيت سخمان حافظا مهما لمحاولات التنسيق هذه التي دشنها الزعيم الدراقوي سيدي علي أمهاوش، والتي أبانت عن درجة عالية من "الوعي السياسي".

طالب سيدي علي أمهاوش الزعامات الدينية الدراقوية لحركة المقاومة في الجنوب الشرقي بانتظار وصوله قبل بدء هجومها ضد المراكز الفرنسية، لكن تباطؤ سيدي علي ورجاله حال بينهم وبين المشاركة في هذا العمل العسكري (Lmoubariki M, 1990: 198).

ورغم تفكك هذه الحركة بسبب الرد العسكري الفرنسي القوي، لم يتراجع سيدي علي بشكل نهائي، حيث قام في مارس 1909 بتشكيل حركة في مدغرة مكونة من 500 فارس و800 من المشاة (Lmoubariki M, 1990: 199)، لكنها تفككت بدورها بطريقة فجائية في أبريل من نفس السنة دون أن تقوم بأي عمل ضد القوات الفرنسية.

هذا الغموض المرتبط بمشاركة سيدي علي أمهاوش في العمليات الجهادية في الجنوب الشرقي المغربي يدفعنا إلى التساؤل حول الأسباب التي جعلت هذا الزعيم الدراقوي الأمازيغي يقتصر على حالة الاستنفار والتعبئة في صفوف رجاله دون الانتقال إلى المشاركة الفعلية في قتال القوات الفرنسية، والخلفيات التي تحكمت في هذا الموقف الذي تبناه وجعلته يعود أدراجه دون أي اصطدام مع قوات الاحتلال (Guennoun S, 1929: 41).

يرجع المنصوري ذلك إلى كثرة شكاوى الساكنة من العبء الذي شكلته قوات سيدي علي أمهاوش على مجتمعات المنطقة، التي كانت تعاني أصلا من ظروف الحياة القاسية في منطقة شبه صحراوية تعاني هشاشة كبيرة على المستوى الاقتصادي تتمثل في ندرة الموارد الاقتصادية من مياه وأراضي رعوية، وهو ما جعلهم يتوسلون إلى سيدي علي أمهاوش ليخلصهم "من هذا العبء الثقيل الذي لزمهم بدون جدوى، فلا هذا الجيش تقدم لمقاومة العدو ولا هو خفف عليهم من ثقل هذه التكاليف، فأصاح سيدي علي أمهاوش لشكايتهم وأقلع هو وجيشه البربري وقفل بدون أية مقاومة تذكر له في هذا التاريخ" (بن لحسن محمد، 1997: 406). لكن إذا كانت هذه الرواية التي قدمها المنصوري قد أماطت اللثام ولو نسبيا عن الأسباب الكامنة وراء عودة سيدي علي أمهاوش ورجاله، فإن الغموض لا يزال يكتنف موقفه من حركة المقاومة بمنطقة الجنوب الشرقي ورفضه المشاركة في عملياتها ضد القوات الفرنسية.

وفي هذا الإطار تقدم مصادر الاستعلامات الفرنسية تفسيراً مغايراً لموقف المنصوري، حيث تعتبر أن هذا الأخير وبمجرد توصله بأخبار انهزام حركات المقاومة في الجرف وفي تازوكرت والخسائر الجسيمة التي تكبدتها، ووقوفه على قوة الجيش الفرنسي وإمكانياته العسكرية الهائلة، عاد راجعا إلى بلاده بعدما أقنع رجاله بأن لا مجال لقتال الجيوش الفرنسية خوفا من تقلص نفوذه وتراجع هيئته في حالة هزيمته (Guennoun S, 1929: 41). ولكي يبرر قرار العودة إلى بلاد آيت سخمان دون شن أي هجوم على

الفرنسيين، أعلن سيدي علي بأنه لا يريد أن يمنح "للكفار" أية فرصة للزحف على مدغرة المقر المقدس للدقاويين (Lmoubariki M, 1990: 199).

إن قرار سيدي علي لا يمكننا فهمه إلا إذا ربطناه بالتراجع العام الذي عرفته حركة المقاومة في منطقة الجنوب الشرقي بعد انتكاسات 1908م من جهة (Lmoubariki M, 1990: 199)، وبانشغاله الكبير باحتمال فقدانه للتأثير السياسي والديني المهم الذي كان يتمتع به في المجتمعات القبلية الأمازيغية للأطلس المتوسط في حالة انهزامه (Cèlerier H, 1926: 83)³، خصوصا في ظل تهديدات الزعيم الزياني باحتلال قصور آيت أمهاوش بعد فترة قصيرة من التفاهم بين الزعيمين.

وقد تفتن الفرنسيون إلى الخطورة التي كانت تشكلها دعاية سيدي علي أمهاوش في المجتمعات القبلية للأطلس المتوسط على مستقبل التواجد العسكري الفرنسي في المنطقة، حيث اعتبرت أن "الخطر الذي يجب أن نأخذه بعين الاعتبار منذ الآن يتمثل في الحملات الدعائية المعادية التي يقودها علي أمهاوش في الأطلس المتوسط، والذي يبدو أنه نجح في استمالة جل القبائل الجبلية بين أعالي أم الربيع وأعالي ملوية بهدف القيام بعمل عسكري مشترك ضدنا" (R.M.P, Janvier, 1914: 1)⁴. الشيء الذي جعل العسكريين الفرنسيين يلقبونه بـ"ملك الجبال"، ويعتبرونه الحلقة الأقوى في منطقة الأطلس المتوسط.

كان سيدي علي يكتف من نشاطه السياسي خلال فصل الشتاء من كل سنة منتقلا بين المراكز الدرقاوية الأمازيغية للأطلس المتوسط، وخصوصا تيغسالين والقياب تفاديا لملاحقته من قبل قوات الاحتلال التي كانت تعمد إلى وقف أنشطتها العسكرية خلال هذه الفترة بسبب الظروف المناخية القاسية.

وقد أسفرت هذه التحركات المكثفة التي كان يقوم بها هذا الزعيم الدرقاوي الأمازيغي عن حالة من الاستنفار عمت جل القبائل المهتمة بالغزو العسكري الفرنسي، وتجلت في تشكل عدة حركات كتلك التي تكونت خلال النصف الأول من شهر يناير 1914 في تينتغالين، التي تبعد حوالي 40 كلم شرق قصبه تادلة (R.M.P, Janvier, 1914: 1). وهو ما جعل العسكريين الفرنسيين يشيرون إلى نجاح هذه الحملات الدعائية التي يقوم بها سيدي علي أمهاوش في جعل الأوساط القبلية الجبلية ترفض كل شكل من أشكال الخضوع ومستعدة لبدء القتال مع أول إشارة، ويؤكدون ضرورة مراقبة هذه الاضطرابات التي أحدثتها أنشطته عن قرب (R.M.P, Janvier, 1914: 2).

³ - يعتبر سيدي علي واحدا من الزعماء الثلاثة الكبار للأطلس المتوسط، غير أنه يتميز عن الزعيمين موحى أوحمو وموحا أو سعيد بنفوذ الديني الكبير في الأوساط القبلية للأطلس المتوسط باعتباره زعيما درقاويا مهما "يرتكز على انتمائه الدرقاوي لكي يقوي دعايته في قبائل الأطلس المتوسط، فالسلطة المطلقة التي يكتسبها بصفته زعيما دينيا درقاويا مكنته من مضاعفة نفوذه وزيادة تأثيره" (Cèlerier H, 1926: 83)

⁴ - Rapport mensuel politique, Janvier, 1914, A.N.R, S8.

3. علاقة سيدي علي أمهاوش بموحا أوحمو زعيم المقاومة الزيانية

تشير مختلف المصادر أن العلاقة بين الزعيم الزياني موحى أوحمو والزعيم الدرقاوي سيدي علي أمهاوش كانت جد متوترة وأحيانا دموية (154: 1951: Drague G)، فقد خاض الزعيمان حروبا شرسة غالبا ما انتهت بدمار كبير وخسائر بشرية جسيمة بين الطرفين (40: 1929: Guennoun S)، ففي سنة 1908 التمس سيدي علي أمهاوش من موحا أوحمو المشاركة في حركته لمساعدة حركات المقاومة في الجنوب الشرقي، لكن هذا الأخير رفض بدعوى عدم اهتمامه بنجدة الصحراويين "الذين سوف لن يقوموا - حسب الزعيم الزياني - بأي عمل لنجدة الزيانيين في حالة تعرضهم لأي هجوم" (Guennoun S, 1929: 46).

أغضب هذا الموقف سيدي علي أمهاوش الذي حمل الزعيم الزياني المسؤولية الكاملة في الهزيمة التي لحقت بالمسلمين، فكانت النتيجة أن انتقلت هذه الحرب الكلامية بين الطرفين إلى مواجهات مفتوحة.

وتعد معركة 1909 قرب أزرو نايت لحسن من أعنف وأشهر هذه المواجهات العسكرية التي وقعت بين الطرفين، والتي انتهت بمصرع خيرة الرجال من الجانبين بعد توقيع اتفاق يقضي بأن تبقى فحدات آيت يعقوب أو عيسى وآيت أحمد أو عيسى وآيت لحسن أوزرو تحت نفوذ وسلطة سيدي علي، على أن تخضع فحدة إيمزيناتن لسلطة القائد الزياني موحا أوحمو (40: 1929: Guennoun S).

هكذا إذن كانت منطقة الأطلس المتوسط تعيش في دوامة من الصراعات والنزاعات القبلية، إلى درجة كانت تبدو معها كل محاولات الصلح ورأب الصدع بين الأطراف المتصارعة بعيدة المنال.

لكن ومع بدء القوات الفرنسية لتوغلها في جبال الأطلس المتوسط، واحتكاكها المباشر مع ساكنته، وتهديدها لمصالحهم الحيوية عمت المنطقة هدنة شاملة، وخفت حدة التوتر بين الزعيمين، وساد بين مختلف الزعامات الدينية والقبلية شعور عام بضرورة التنسيق والتعاون لمواجهة هذا التهديد الخارجي المشترك، فتوقفت "المعارك القبلية لتتجه نحو الجيوش الفرنسية، وتناسوا الأحقاد القبلية، وقالوا كلهم إننا أبناء أمازيغ، ولم يبق لقبيلة منا أن تتعدى أو تزيغ، فلنقاوم عدو الدين المفترى، ومن أبي فإن الإسلام منه بريء..." (بن لحسن محمد، 1997: 481).

▪ احتلال خنيفرة في 12 يونيو 1914

سعت القيادة العسكرية الفرنسية باحتلالها لخنيفرة إلى الحد من الخطورة التي أصبح يشكلها رجال المقاومة -الذين لجأوا إلى المدينة- على التواجد العسكري الفرنسي بالمنطقة، ومحاولة اختراق قبائل زيان وإنشاء مراكز عسكرية دفاعية لمراقبة تحركات

المقاومة في مرتفعات الأطلس المتوسط، وبالتالي التحكم في الطريق السلطاني الرابط بين فاس ومراكش.

وبعد استعدادات سياسية وعسكرية في محيط مجال زيان مكنت من محاصرة هذه الكتلة القبلية الأمازيغية وإرغامها على التراجع، خصوصاً بعد إخضاع بني مطير وبني مكيلد من الجهة الشمالية عبر احتلال كل من إيظو وإيفران وأزرو والسيطرة على تادلة والأزغار من الجهة الجنوبية، قرر الجنرال هنريس Henrys، الذي أنيطت به مهمة قيادة هذه العمليات، حشد قوات عسكرية هائلة لهذه الغاية تمثلت في أكثر من 13000 جندي أغلبهم من المجندين السينغاليين والجزائريين وفرق الكوم والمخازنية مزودين بأحدث الأسلحة، وتقرر الزحف على مدينة خنيفرة من ثلاث جهات بشكل متزامن (Vial J, 1938: 97). ورغم المقاومة الشديدة التي أبانت عنها قبائل المنطقة، فقد تم احتلال المدينة في 12 يونيو 1914 وإرغام رجال المقاومة على الهروب واللجوء إلى المرتفعات المجاورة لتفادي الاستسلام والخضوع (Henrys G, 1914: 37).

بعد احتلال مدينة خنيفرة ضاعف سيدي علي أمهاوش من حملته الدعائية لتحريض القبائل التابعة له وتعبئتها للدفاع عن المدينة المحتلة. وفي هذا الإطار يقول المنصوري: "عندما رأى سيدي علي أمهاوش من نده محمد وحمو وقبائله هذا الكفاح والاستماتة في سبيل الله، قامت هذه الأسرة المهاوشية... بقبائل إشقرن وآيت سخمان وآيت يحيى وغيرهم من قبائل آيت أومالو" (بن لحسن محمد، 1997: 480).

وقد استهدف هذا النشاط السياسي والديني المعادي لقوات الاحتلال، الذي قاده الزعيم الدرقاوي في الأوساط القبلية الأمازيغية للأطلس المتوسط طيلة سنة 1914، إقناع مختلف الزعامات القبلية بضرورة تشكيل قوة قبلية مشتركة قادرة على استرداد مدينة خنيفرة ووقف المخططات الاستعمارية الفرنسية في المنطقة (R.M.P, Janvier, 1914: 5-7). ولتحقيق هذا الغرض كثف سيدي علي من تنقلاته بين مختلف قبائل الأطلس المتوسط، حيث رصدت مصالح الاستعلامات الفرنسية تواجده في كل من تيغسالين والقباب وأكلمان. لكن محاولات التنسيق هذه باءت بالفشل واستمر الزعماء الثلاثة للأطلس المتوسط في مواجهة القوات الفرنسية بشكل منفصل⁵.

من جهة أخرى، ترجم علي أمهاوش حالة الاستنفار التي كان يعيشها رجاله إلى هجمات متكررة ضد القوات الفرنسية المتمركزة بخنيفرة (R.M.P, Janvier, 1914: 9)، كان أبرزها الهجوم الذي شنه في 20 غشت 1914 ضد القوافل العسكرية الفرنسية، حيث عمد رفقة قواته إلى اعتراض سبيل القوات الفرنسية، لكن الاستعمال المكثف لسلاح المدفعية

⁵ - رغم المحاولات المتكررة التي قام بها الزعيم الدرقاوي سيدي علي أمهاوش لتنسيق مجهوداته مع الزعيمين موحا أوحمو وموحد أو سعيد، فقد سجلت التقارير العسكرية الفرنسية عدم تحمس هذين الأخيرين للقيام بعمل عسكري مشترك خوفاً من فقدانهما لنفوذهما لصالح الزعيم الدرقاوي، حيث تملص موحد أو سعيد مراراً من دعوات سيدي علي ورفض زيارته.

أوقف اندفاع المقاومين وكبدهم خسائر جسيمة وأرغمهم على التراجع والتحصن بالقمم المجاورة (بن لحسن محمد، 1997: 484).

شكلت هذه المواجهة العسكرية التي خاضها سيدي علي أمهاوش نقطة تحول كبيرة في المسار الجهادي لهذا الزعيم الدرقاوي الأمازيغي، حيث جعلته الخسائر البشرية التي تكبدتها قواته يقرر الرجوع إلى معاقله الجبلية في انتظار وصول الجيوش الفرنسية، فقد "... كانت الخسائر بالنسبة للقبائل الآتية مع سيدي علي أمهاوش أكثر لأنهم لم يكونوا تدربوا تدريب زيان، ولم يشأوا أن يظهروا أول ملاقات لهم مع الجيوش بمظهر الفارين، فصبروا وثبتوا مما قدر لفظاحلة منهم وأعيان الاستشهاد في سبيل الله.. وبمجرد ما رجعوا لمعسكرهم حتى ظهر لهم أن ييارحوه إلى جبالهم ووطنهم حتى يدنو منهم الجيش" (بن لحسن محمد، 1997: 485).

مباشرة بعد اندلاع الحرب العالمية الأولى تغير الوضع في المغرب، واضطر المقيم العام الفرنسي الجنرال ليوطي إلى إرسال قسم هام من القوات المتواجدة بالمغرب إلى الجبهة الأوربية، وهي وضعية استثنائية استغلتها الزعامات الدينية والقبلية للأطلس المتوسط، ومن بينها الزعيم الدرقاوي سيدي علي أمهاوش، للقيام بضغط مستمر على الخطوط الأمامية للقوات الفرنسية لا سيما وأن خبر اندلاع الحرب في الجبهة الأوربية قد انتشر بسرعة بين مختلف الأوساط القبلية للأطلس المتوسط التي كثفت من هجماتها على المراكز الفرنسية المتواجدة على طول أم الربيع، في محاولة منها لاستغلال انشغال القادة العسكريين الفرنسيين بالحرب الأوربية لإرغام قواتهم على التراجع والانسحاب.

وتجمع مختلف المصادر أن زعماء حركات المقاومة بالأطلس المتوسط لم يخضعوا لخطط القيادة الفرنسية التي كانت تسعى إلى محاصرة قبائلهم عسكريا واقتصاديا، عن طريق تأسيس مجموعة من المراكز العسكرية على حدودها تمكنها من التحكم في الطرق التجارية المتجهة نحو الأطلس المتوسط (B.C.A.F, 1915: 169)⁶، بل على العكس من ذلك شددوا الخناق على القوات الفرنسية المتواجدة في خنيفرة التي أصبحت غير قادرة على مغادرة المدينة (Pichon J, 1936: 50).

وقد اعترف ليوطي بهذه الوضعية الصعبة في برقيته إلى وزير الحرب الفرنسي بتاريخ 9 غشت 1914، حيث قال: "لقد أصبحت القوات الفرنسية الموجودة في خنيفرة محاصرة، لكنها ستواصل صمودها... إن الانسحاب من خنيفرة يعني اجتياح القبائل الأمازيغية لكل المغرب الأوسط" (Barthou L, 1919: 39).

وهكذا أصبح مركز خنيفرة عرضة لهجمات متكررة من قبل مختلف قبائل الأطلس المتوسط التي حاولت يومي 19 و20 غشت القيام بهجوم شامل ضد قوافل التموين القادمة من قصبة تادلة بقيادة الكولونيل كارنيي دوبليسيس Garnier Duplessis، لكن القوات

⁶ - Bulletin du comité de l'Afrique Française, , N°6, juin 1915: 169.

الفرنسية تمكنت من صد هذا الهجوم بعد معارك ضارية تكبدت خلالها جماعات المقاومة خسائر هامة.

■ استعادة حركات المقاومة لنشاطها بعد معركة الهري

رغم التعظيم الإعلامي الذي مارسته المؤسسة العسكرية الفرنسية لإخفاء الوقائع الحقيقية لهذه الهزيمة⁷، والحيلولة دون امتداد صداها إلى الخارج، فقد وصلت أنباء انتصار رجال المقاومة إلى مختلف القبائل المغربية وخاصة تلك المتواجدة في الأطلس المتوسط، وأحدثت ارتياحاً كبيراً في مختلف الأوساط القبلية (Lyautey P, 1956: 301) وبعثت آمالاً لا حد لها. كما شكلت حافزاً لباقي حركات المقاومة لمضاعفة عملياتها ضد قوات الاحتلال. وقد لخصت جريدة السعادة هذه الحركية التي أعقبت معركة الهري، حيث كتبت: "ظهر الضجر من قبيلة زيان والشلوح بعد معركة آخر غشت، وقد حاول موحى أوحمو وعلي أمهاوش وموحى أوسعيد جمع الحركة وربط العلائق مع الهيبة..." (السعادة، العدد 803، 26 شتنبر 1911: 1). وهكذا حل التعاون محل التنافس والصراع وكثرت الاتصالات بين مختلف الزعامات الدينية والقبلية للأطلس المتوسط وتم تبادل الرسائل والنصائح للجهاد (Drague G, 1951: 154).

بعد هذه الهزيمة القاسية التي تعرضت لها القوات الفرنسية، لزمّت هذه الأخيرة معسكراتها ولم تجرؤ على خوض أية معركة، وتلقت تعليمات تمنعها من القيام بأية مغامرة في هذه السلاسل الجبلية المحصنة، وانحصر تفكير قادتها العسكريين في البحث عن السبل الكفيلة بتموين قواتهم دون التعرض لخسائر ثقيلة. وقد استغل زعماء حركات المقاومة بالأطلس المتوسط بمن فيهم سيدي علي أمهاوش هذه الفرصة، وضاعفوا من هجماتهم ضد قوافل التموين القادمة من تادلة التي أصبحت "لا تصل - في أحسن الأحوال - إلى الجيش المرابط بخنيفرة إلا بعد مرور ستة أشهر..." (بن لحسن محمد، 1997: 477).

وطيلة شهر أبريل، قامت الوحدة المتنقلة لتادلة بقيادة الكولونيل Duplessis بثلاث عمليات متتالية لتموين خنيفرة تعرضت جميعها لهجومات حركة المقاومة بقيادة سيدي علي أمهاوش، الذي دعا إلى تحالف زعماء المقاومة وتكتلهم، واستطاع تجميع حوالي 5000 رجل انقضوا على مؤخرة هذه القوافل التموينية وكبدها خسائر جسيمة (B.C.A.F, 1915: 228).

ورغم قيام الجنرال Henrys برد مباشر لإعادة الأمور إلى نصابها وإيقاف "استفزازات" سيدي علي أمهاوش وباقي زعامات المنطقة، فإن القوات الفرنسية ظلت محاصرة طيلة سنوات الحرب العالمية الأولى.

⁷ - لن نخوض في تفاصيل هذه المعركة والانتصار الكبير الذي حققته المقاومة الزيانية، وإنما سنكتفي بالتركيز على نشاط الزعيم الدرقاوي سيدي علي أمهاوش بعد المعركة ما دام أنه لم يشارك فيها.

وفي ظل هذه الأوضاع المتسمة بتزايد عمليات حركات المقاومة، أصبحت القيادة الفرنسية مجبرة على نهج خطة دفاعية (Rivet D, 1988: 59) تنفّاد من خلالها القيام بعمليات عسكرية كبيرة، وتعتمد مبادئ الحركة والمنورة كأساس لها، وتستهدف توجيه ضربات معاكسة وقوية محدودة لحركات المقاومة بغية إنهاكها، ومحاولة الانتقال مباشرة إلى الهجوم مع تفادي عمليات الاختراق. كما هدفت إلى تشكيل ضغط مستمر على هذه الجماعات القبلية المقاومة وتدعيم الحصار المفروض عليها من قبل المراكز العسكرية والوحدتين المتنقلتين لتادلة ومكناس (Guillaume A, 1946: 198).

غير أن هذه الخطة الدفاعية وإن حالت بين هذه القبائل الأمازيغية وبين ارتيادها لمراعيها وأراضيها الفلاحية واضطرتها إلى اللجوء إلى المرتفعات الجبلية، فإنها في المقابل لم تفض إلى خضوعها واستسلامها، بل قاومت ظروف الحصار وقساوة المناخ، واستمرت في شن هجمات سريعة وخاطفة على المراكز العسكرية وقوافل التموين.

ومع بداية سنة 1916 أصبح المغرب الشمالي بأكمله في حالة غليان، مما اضطر القائد العام للشمال الجنرال Henrys إلى القيام بعمليات عسكرية دقيقة وسريعة، جند لها الوحدات المتنقلة لكل من تازة وقصبة تادلة. وقد تزامنت هذه الوضعية المضطربة مع انطلاق عمليات تموين مركز خنيفرة في ظل ظروف مناخية جد سيئة، وهي عمليات كانت صعبة ومكلفة، واعتبرت هدفا مثاليا لهجمات عنيفة ومتواصلة من قبل حركات المقاومة المحلية التي جعلت من مدينة خنيفرة مركزا محاصرا ومعزولا عن شريط المراكز الفرنسية يعاني كثيرا من نقص في التموين،

ولتجاوز الخطورة التي يشكلها رجال المقاومة، كان الجنرال G. Duplessis يأمل في تنسيق تحركات الوحدتين المتنقلتين لتادلة وإيطو لضمان تموين مركز خنيفرة المحاصر، لكن رغم الإجراءات التي اتخذتها القوات الفرنسية لتأمين قوافل التموين (Peyronnet R, 1923: 192)، فإن هذه الأخيرة تعرضت ما بين 17 و 27 يناير 1916 لهجمات عنيفة من طرف حركات المقاومة المحلية التي استطاعت أن تلحق خسائر كبيرة بالقوات الفرنسية وصلت إلى حوالي 37 قتيلًا و59 جريحًا (Peyronnet R, 1923: 193)⁸. الأمر الذي دفع القادة العسكريين الفرنسيين إلى اتخاذ سلسلة من التدابير العسكرية التي تترجم رغبتهم الأكيدة في عدم البقاء مكتوفي الأيدي أمام اشتداد نشاط حركات المقاومة، حيث تبوأ خطة هجومية تهدف إلى كسر شوكة حركات المقاومة بعدما اقتنعوا بعدم جدوى الاستمرار في النهج الدفاعي المتبع مباشرة بعد اندلاع الحرب العالمية الأولى، خاصة وأن تجربته انتهت بخسائر كبيرة في صفوف الجيش الفرنسي، وحسب ليوطي فإن هذا "النهج الدفاعي المتبع منذ بداية الحرب العالمية الأولى وسكون وعدم حركية القوات العسكرية الفرنسية الناتج عن تقليص أعدادها، يقدم دليلا لجماعات المقاومة على ضعفنا

⁸ - أمام اشتداد نشاط حركات المقاومة المغربية خلال هذه الفترة، بدأت الحكومة الفرنسية تفكر جديا في الانسحاب من مدينتي تازة وخنيفرة، لكن المقيم العام ليوطي رفض ذلك وأصر على بقاء القوات الفرنسية في المدينتين.

ومحدودية قواتنا" (Rivet D, 1988: 59). ووفق هذا المعطى حاول العسكريون الفرنسيون تفعيل خطة الهجوم مع التركيز على قدرة الأسلحة النارية وحركية القوات الاحتياطية.⁹

وفي هذا الإطار، استعرض ليوطي في 24 نونبر 1916 برنامج العمليات الذي يهدف إلى القضاء على حركات المقاومة في كل الأطلس المتوسط، وذلك عبر عزلها وتقسيمها إلى قسمين: القسم الأول يضم قبائل الشمال الشرقي خصوصاً بني وراين وغياتة، والثاني في الجنوب الغربي ويضم حركة المقاومة بزعامة موحا أوسعيد وقبائل زيان المساندين من قبل سيدي علي أمهاوش. واعتمد هذا المخطط العمل على تنويم طرفي المنطقة الفرنسية وتحويلها إلى جبهتين هادنتين وهما جبهة وزان والجانب الشمالي لممر تازة وجبهة التخوم الصحراوية في الجنوب، والتركيز على المنطقة الوسطى غير الخاضعة المشكلة من مجال الأطلس المتوسط بقسميه الشمالي والجنوبي من خلال ضرب حركة المقاومة التي يتزعمها سيدي رحو وهي الأقل خطورة في هذه المقاومة الجبلية، والانفراد بعدها بحركتي المقاومة المتبقيتين (Rivet D, 1988: 60). وبناء على هذا المخطط تمكنت القوات الفرنسية خلال سنة 1916 من توجيه ضربات موجعة لحركات المقاومة اضطرت خلالها إلى التراجع واتخاذ مواقف دفاعية.

بعد صمود القوات الفرنسية وتمكنها من احتواء نشاط حركات المقاومة وشل تحركاتها، تيفقت هذه الأخيرة أن قوات الاحتلال لن تتراجع ولن تتخلى عن المواقع التي احتلتها، كما أدرك سيدي علي أمهاوش صعوبة الاستمرار في هذا النهج الهجومي (Guillaume A, 1946: 198) والحفاظ على معنويات قواته، فقرر التراجع إلى موطنه ببلاد آيت سخمان واتخاذ موقف المترقب وانتظار تطورات الحرب الأوربية عسى أن يتغير الوضع لصالحه وتعمل أحداثها على التسريع بانسحاب الجيوش الفرنسية.

ومع نهاية ربيع 1916 بدا للجنرال Duplessis أن الظروف أصبحت ملائمة لاحتلال قصبه بني ملال التي تعد من أكبر الأسواق في دير الأطلس المتوسط بالإضافة إلى موقعها الاستراتيجي، وابتداء من 20 ماي 1916 تحركت الوحدة المتنقلة لتادلة وعسكرت على بعد كيلومترين من المدينة، وهاجمت الدواوير الموجودة شرق وغرب بني ملال، وقامت باحتلالها "بعد مقاومة ضعيفة اقتصررت على بعض الطلقات النارية العشوائية" (Voinot L, 1939: 169). وقد شكل احتلال بني ملال مرحلة مهمة في تاريخ التوغل العسكري الفرنسي بالأطلس المتوسط، لكن الاستيلاء على هذه القصبه لا يكفي لضمان أمن القوات الفرنسية المتواجدة في السهول والتضييق على القبائل الجبلية وإحكام القبضة عليها (Peyronnet R, 1923: 201).

أوضحت هذه العمليات التي قادتها القوات الفرنسية بالمنطقة صعوبة الإجهاز على هذه التكتلات القبلية الأمازيغية في دير الأطلس المتوسط، كما بينت أن المراهنة على

⁹ - تزامن قرار استئناف العمليات العسكرية مع التطورات التي عرفتها الجبهة الأوربية والتي مكنت من زيادة مهمة في أعداد القوات المرابطة بالمغرب.

خضوعها يعد صعب المنال، لذا وفي انتظار توفر الإمكانيات العسكرية الضرورية اكتفت القوات الفرنسية بتطوير معقل المقاومة الجبلية وعزلها عن المراكز الخلفية الداعمة لها، وعملت في نفس الوقت على تقوية جهاز المراقبة الأمنية داخل شبكة المراكز الخاضعة لسلطتها، كما عمدت بعد احتلالها لكل من بني ملال سنة 1916، وإغرم لعلام سنة 1917 (Guillaume A, 1946: 172) إلى تشكيل جبهة عسكرية ثلاثية الاتجاه تمتد من إغرم لعلام مرورا بقصبة تادلة وانتهاء بقاعدة بني ملال، تضمن لها السيطرة الكاملة على الضفة اليسرى لأم الربيع وتمكنها من فك الارتباط والتعاون القائمين بين جماعات المقاومة في أعالي الجبال ونظرائهم في السهل.

اعتبرت القيادة العامة الفرنسية بالمغرب احتلال بني ملال وإغرم لعلام من طرف الوحدة المتنقلة لتادلة، في ظروف الحرب العالمية الأولى إنجازا هاما جاء نتيجة منطقية للخطة الهجومية التي تبنتها مع بداية 1916 (Guillaume A, 1946: 172).

4. بني سيدي علي أمهاوش لاستراتيجية الانتظار والترقب

بعد هذه الإجراءات والتدابير العسكرية التي أقدم عليها الفرنسيون، اضطرت حركات المقاومة في الأطلس المتوسط إلى التراجع نحو المرتفعات الجبلية، "فتراجع نشاط سيدي علي وخفت حدة دعايته" (Guennoun S, 1929: 41)، وأصبح يقتصر في تعبئته الدينية والسياسية على محيط معاقله القبلية جاعلا منها ملجأ للقبائل الهاربة من الغزو العسكري الفرنسي.

غير أن ما يلاحظ على الزعيم الدرقاوي هو تجنبه الاصطدام مع القوات العسكرية الفرنسية أو الهجوم على مراكزها العسكرية وقوافلها التموينية (Le Glay M, 1915: 110) بشكل مباشر طيلة هذه الفترة، إذ عمد إلى تأجيل كل العمليات التي أعلن عنها لمرات عديدة بمجرد وصول موعدها، مما جعل رجال المقاومة في حالة ترقب مستمر لموعد الهجوم الحاسم الذي يعد له سيدي علي، واكتفى في المقابل بتكثيف حملاته الدعائية وتنقلاته بين قبائل الجناح الجنوبي للأطلس المتوسط وجعلها في حالة استنفار دائم. فهل كان سيدي علي أمهاوش يعتزم فعلا شن هجوم حاسم وكاسح ضد القوات الفرنسية في زمان ومكان محددين؟ وهل كان يدرك الانعكاسات السلبية لسياسة التأجيل على سمعته بين الأوساط القبلية، ويعي صعوبة مواجهة حالة اليأس وانعدام الثقة التي يمكن أن تتسرب إلى صفوف قواته التي ظلت لأكثر من سنتين في حالة تعبئة واستنفار دائمين؟

المهم أن سيدي علي ظل مصمما على نواياه في الهجوم على المراكز الفرنسية في موعد لم يعلنه، واستطاع الحفاظ على الوحدة السياسية والتعبئة الروحية في الأوساط القبلية لاتحادية آيت سخمان التي بقيت في حالة استنفار دائم محافظة على موقفها العدائي تجاه الفرنسيين. وقد نجحت هذه الاستراتيجية الانتظارية التي تبناها سيدي علي أمهاوش إلى حد كبير في النيل من معنويات القوات الفرنسية، وفرضت عليها البقاء في حالة ترقب دائمة واستنفار مستمر استعدادا لحلول ساعة الحسم التي أعلن عنها. كما استنزف جهود

العسكريين الفرنسيين وأقلقهم بدعايته الدينية والسياسية المكثفة وكثرة تنقلاته بين قبائل وادي العبيد، وعرقل نشاطهم السياسي الهادف إلى تفكيك كتلة القبائل المقاومة التابعة له، وفرض عليهم تسخير قسم مهم من نشاطهم الاستخباراتي لتتبع أخباره وأنشطته ومحاولة كشف طبيعة القرارات التي ينوي اتخاذها، إلى درجة فضلوا معها الاصطدام به للتخلص من نشاطه السياسي الفتاك.¹⁰

وقد أكد قادة جيش الاحتلال نجاح الزعيم الدرقاوي الأمازيغي سيدي علي بفضل دعايته المكثفة وتعبئته المتواصلة في وقف كل محاولات الاختراق التي قامت بها مصالح الاستعلامات الفرنسية، واعترفوا بعجزهم عن معرفة طبيعة أنشطته وقواته وأعدادها، وفي هذا الإطار أبرز العسكريون الفرنسيون أنهم " لا يملكون سوى معلومات متناقضة حول عدد القوات التي يمكن أن يجندها، كما لا يستطيعون التعرف على نواياه وقراراته المستقبلية" (Cèlerier H, 1926: 84).

فرغم عدم قيامه بأي عمل عسكري ضد القوات الفرنسية ومراكزها وقوافلها التوميونية، واكتفائه بموقف دفاعي خلال السنوات الأخيرة، فإن هذه الأخيرة كانت واعية بعدم قدرتها على اختراق الأوساط القبلية الأمازيغية لاتحادية آيت سخمان في ظل النشاط السياسي المكثف، والجهد الكبير الذي كرسه في تهدئة النزاعات الداخلية بين مختلف الفخدات والقبائل وتعبئة مختلف المكونات القبلية وخلق حالة من الوحدة والتماسك.

وبغية الحد من الخطورة التي كان يمثلها النشاط السياسي والديني المكثف لسيدي علي أمهاوش¹¹، ووقف تحركاته دون المغامرة بعمل عسكري واسع النطاق، عمد العسكريون الفرنسيون إلى مضاعفة نشاط المراقبة من قبل الوحدة المتنقلة لتادلة ومراكش، وضمان تغطية هذه الجبهة بالأعداد المناسبة من القوات الفرنسية تأهبا لأي هجوم.

وقد مثلت سياسة سيدي علي أمهاوش تطورا في الوعي السياسي والعسكري لزعماء حركات المقاومة المغربية المتمثلة في الانتقال من المواجهة المباشرة التي انتهت بمجموعة من الهزائم والانتكاسات، إلى المواجهة غير المباشرة التي ارتكزت على استنزاف طاقات الخصم وعرقلة نشاطه السياسي والعسكري بحملات دعائية مضادة وتعبئة متواصلة، خصوصا وأن هذا الزعيم الدرقاوي الأمازيغي كان يعي جيدا الفارق الشاسع في الإمكانيات العسكرية واللوجيستكية بين قواته القبلية المحدودة التنظيم والتسلح، وبين جيش الاحتلال الذي يعد جيشا نظاميا وعصريا جيد التنظيم والتأطير مدججا بكل أنواع الأسلحة والعتاد الحربي، بعدما اطلع عن قرب على حالة الانكسار التي عرفتتها حركات المقاومة في الجنوب الشرقي، لذلك عمل جاهدا على تقادي خوض معارك مباشرة حاسمة ضد قوات

¹⁰ - أكد العسكريون الفرنسيون نجاح استراتيجية سيدي علي، وقد عبروا عن ذلك بالقول: "لقد طال انتظارنا لساعة هجومه ولا يبدو أن موعدها سيأتي" (Cèlerier H, 1926: 84).

¹¹ - شكل هذا النشاط السياسي والديني المكثف الذي قام به سيدي علي طيلة سنتين مصدر قلق كبير للمؤسسة العسكرية الفرنسية، فقد سببت "تحريضاته ومراسلاته ونداءاته حالة من الهيجان بين قبائل الأطلس المتوسط" (Cèlerier H, 1926: 84).

الاحتلال ستكون بدون شك نتائجها كارثية على مستقبل الجناح المقاوم بالمنطقة ككل من جهة¹²، وقد تعصف بسمعته كزعيم ديني صاحب بركة ورثها وعمل جاهداً على الحفاظ عليها طيلة سنوات من جهة ثانية. أما قوات الاحتلال فقد أرجعت هذه السياسة المتبعة من طرف سيدي علي إلى " اقتناعه بعدم جدوى مواجهة القوات الفرنسية المدججة بأحدث وأفنك الأسلحة، لكن وبسبب عدم قدرته على إقناع قبائله بالخضوع تبني خطة تعتمد الحفاظ على نفوذه الديني دون الدفع بأنصاره إلى المواجهة" (Le Glay M, 1915: 11).

كما أن العامل الذي لا يمكن تجاهله والذي كان له الأثر الكبير في تشكيل مواقف الزعيم الدرقاوي هو انشغاله كزعيم صوفي وقبلي بالعمل على وقف النزاعات الداخلية، ومحاولة خلق الوحدة والتماسك بين مختلف المكونات القبلية للمنطقة (Henry G, 1914:1)، في وقت عادت فيه النزاعات بين قبائل إيشقرن وزيان وبني مكغيلد لتشتعل من جديد، مما جعل كل محاولة لتوحيد صفوفها وجهودها بغية القيام بعمل عسكري مشترك صعبة للغاية.

هكذا إذن استفد سيدي علي أمهاوش جل طاقاته ومجهوداته في محاولات مستمرة لتحقيق الصلح بين مختلف الفخدات والقبائل المتنازعة، والعمل على تجاوز خلافاتها المحلية، وإخماد الصراعات التي كانت تؤججها تدخلات الاستعلامات الفرنسية بواسطة العديد من المخبرين والعملاء بهدف تخريب الجبهة الداخلية للجماعات المقاومة وتفكيك نظامها المحلي، والحيلولة دون أي تكتل للمكونات القبلية وخلق الأرضية الخصبة لنشاط الجناح المناهض للمقاومة والموالي للمستعمر¹³.

5. وفاة سيدي علي أمهاوش

استقبل الفرنسيون بارتياح كبير نبأ وفاة سيدي علي أمهاوش يوم 29 ماي 1918 (Cèlerier H, 1926: 85)، واعتبروا رحيله بداية مرحلة جديدة من تاريخ الغزو العسكري للأطلس المتوسط الجنوبي، لأنهم كانوا يدركون أن لا سبيل لهم للنفاذ إلى هذه المجتمعات القبلية الأمازيغية لاتحادية آيت سخمان إلا عبر تفكيك جبهتها الداخلية وقضائهم على الوحدة السياسية التي نجح سيدي علي أمهاوش في بنائها والحفاظ عليها، بالنظر إلى مكانته السياسية وتأثيره الديني الكبير. كما كانوا متيقنين من عدم وجود أي زعيم قبلي أو ديني بحجم المكانة التي كان يتمتع بها سيدي علي، يمكنه أن يملأ هذا الفراغ الكبير الذي تركه غياب هذا الأخير عن المشهد الديني والسياسي لاتحادية آيت سخمان وكل الأطلس المتوسط، خاصة أن الزعماء الدرقاويين الذين جاؤوا من بعده وتقاسموا نفوذه لم يستطيعوا

¹² - قاد سيدي علي أمهاوش قواته من قبيلة إيشقرن ضد الجناح الأيمن لطابور Duplessis الذي كان يقوم بعملية تموين مدينة خنيفرة. وقد قتل خلال هذا الهجوم ابن سيدي علي وأصيب هو بجروح خفيفة، حينها قال سيدي علي أمهاوش: "لقد عاقبني الله لأنني لم انتظر الساعة" (Le Glay M, 1915: 11).

¹³ - إدراكاً منه للخطورة التي يشكها الخاضعون والموالون للإدارة الاستعمارية باعتبارهم عاملاً أساسياً لتسهيل اختراق قوات الاحتلال وغزوها، عمد سيدي علي أمهاوش إلى شن حملات انتقامية واسعة ضدهم لإرغامهم على وقف اتصالاتهم مع قوات الاحتلال

التوحد والتنسيق، وطمح على علاقاتهم التنافس والصراع والرغبة في الانفراد بإرثه الروحي المتميز (Guennoun S, 1929: 42).

ومما زاد من ارتياح العسكريين الفرنسيين عدم قدرة الزعامات الدينية الدرقاوية على الاتفاق على شخصية يمكنها أن تراث بركة سيدي علي أمهاوش ومكانته الدينية والروحية، فرغم أن هذا الأخير كان قد أوصى ابنه سيدي أوبا بخلافته فإنه لم يتمكن من فرض نفسه على باقي الزعامات، واستمر التنافس بين أبناء الزعيم الدرقاوي الراحل خصوصاً سيدي المكي وسيدي أوبا وسيدي الشيخ وفتيحه محاند أولحاج وأولاد الطيبي سيدي محمد وسيدي عبد المالك (Guennoun S, 1929: 42)، غير أن الذي استحوذ على النصيب الأكبر من الإرث الديني والسياسي لسيدي علي هو زعيم الجناح الدرقاوي لزراوية أحضالة سيدي الحسين أوتمكاً.

وقد انعكس هذا التنافس والصراع بين هذه الزعامات الدينية الدرقاوية الأمازيغية بشكل سيء للغاية على المكونات القبلية لاتحادية آيت سخمان، لأنه أقحم أتباعهم في نزاعات داخلية واسعة، وجعلهم ينشغلون بها عن التهديد الاستعماري الفرنسي لأراضيهم.

خاتمة

عمل سيدي علي أمهاوش على استغلال الطابع الروحاني لذهنية المجتمعات القبلية الأمازيغية المغربية، وإيمانها بالفعل التوسلي وطلب العون الإلهي. واستفاد من المكانة المتميزة التي كان تتمتع بها بهدف إقناعها بعدالة قضيتها وحثها على التثبت بالمقاومة رغم تواضع إمكاناتها. كما نجح إلى حد كبير في تجاوز الخلافات والصراعات القبلية التي كانت سبباً في مواجهات دموية عانت منها مختلف القبائل المغربية. واستطاع تعويض النقص المادي الذي كان يعانيه عن طريق الاستغلال الذكي للتضاريس الصعبة للمناطق الجبلية حيث كانت تنشط هذه القبائل الأمازيغية. ورغم أنه لم يتمكن من إحداث تغيير كبير وحاسم في ساحة العمليات، فإنه نجح في إلحاق خسائر مهمة بالقوات الفرنسية بالاعتماد على إمكاناته الذاتية وفي غياب التسليح الجيد والتنظيم المحكم، واستطاع أن يفشل خططها ويعرقل مخططاتها العسكرية والسياسية، وأخر مشروعها للسيطرة على المغرب وإخضاع قبائله.

البيبلوغرافيا:

بن لحسن م، 1997، نظرية المقاومة من خلال مخطوط كباء العنبر من عظماء زيان وأطلس البربر: دراسة تنظيرية مع توثيق النص، بني ملال، أطروحة لنيل دكتوراه الدولة، مرقونة في كلية الآداب والعلوم الإنسانية- ج III.

Barthou L, 1919, *La Bataille du Maroc*, Paris, Librairie ancienne honoré champion.

Celerier.J, 1926, *L'oued ElAbid*, Rabat, Hespéris, Vol VI, 2^{eme} et 3^{eme} trimestre.

Drague G, 1951, *Esquisse d'histoire religieuse du Maroc*, Paris, peyronnet.

Drouin Jeannine, 1975, *un cycle hagiographique orale dans le moyen Atlas*, Paris, imprimerie nationale.

Guennoun S, 1929, *Choses du Moyen Atlas, Pacification du Pays Aït Oumalou*, Paris, Publication du Comité de l'Afrique française.

Guillaume A, 1946, *les Berbères marocains et la pacification de l'Atlas central (1912-1933)*, Paris, René Julliard.

Henrys G, 1914, *Rapport sur les opérations en pays Zaïan du début jusqu'au 20 juin*, Rabat, Résidence Générale.

Le Glay M, janvier 1915, « Les Chefs de la résistance berbère », *Revue France Maroc*, N°1.

Lmoubariki M, *La résistance du sud-marocaine à la pénétration française (1908-1934)*, Thèse de doctorat d'histoire, Université Lumière, Lyon II, Volume II, Année Universitaire 1990-1991.

Lyautey P, 1956, *Lyautey L'Africain, Texte et lettres du maréchal Lyautey, TIII, 1913-1915*, Paris, Librairie Plan.

Michaux B, 1917, *Note sur les Amhaouch et les Ahançal*, A.B. V II, Rabat.

Peyronnet R, 1923, *Tadla, Pays Zaïan, moyen Atlas*, Alger, Imp Algérienne.

Pichon J, 1936, *El Herri*, Paris, Charles la Vauzelle.

Rivet D, 1988, *Lyautey et l'institution du Protectorat français au Maroc (1912-1925) tome II*, Paris, l'Harmattan.

Vial J, 1938, *Le Maroc Héroïque*, Paris, Hachette.